التأسيس والهوية

على الرغم من أن ارهاصات العمل الوطني الفلسطيني قد بدأت قبل عام 1967م فان التشكيل الحقيقي لمجموع الفصائل الفلسطينية قد أخذت ملامحه في البروز والتبلور أكثر فأكثر بعد عام 1967م. وبعبارة اخرى بعد حرب الايام الستة المخزية، حيث شكلت هذه الحرب معلماً مفصلياً واضحاً، ليس على الصعيد القومي العام فحسب، وانما على الصعيد الاقليمي ايضاً.

مع العلم ان البعض بقي في أطار القومية، لطبيعة فهمه للصراع العربي الصهيوني أولاً، ولحقيقة ارتباط بنظم عربية ارتأت فرض رؤيتها القومية والطبقية على مجرى الصراع بين الصهاينة والفلسطينيين ثانياً، إلا ان المنحى العام أخذ يتركز على الهوية الفلسطينية، بل وأكثر من ذلك، برزت ملامح التركيز على البعد الايديولوجي، والهوية الطبقية. وفي حالتنا هذه بدأت الملامح الاولية في التشكيل والانبعاث للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي جاءت من اصول قومية الأساس ووطنية الملامح حيث شكلت الهزيمة بالنسبة لهم كما يشير د.جورج حبش: " شكلت مفاجأة مذهلة وصدمة كبيرة لكل هذه الاحلام، فلم تعد المراهنة على الجيوش النظامية العربية، بل بدأت المراهنة على الجماهير المسلحة وحرب الشعب وأهمية الادوات التنظيمية والتعبئة الجماهيرية، لان ابرز خطأ وقعت فيه التجربة الناصرية تاريخياً افتقارها للاداة والصيغة الديمقراطية والتنظيم الذي يعبيء الجماهير ويقودها ويحافظ على مكتسباتها خاصة انها رفعت شعارات الاشتراكية بما فيها الاشتراكية العلمية وبخاصة بعد تجربة الانفصال عام 1961".

وعليه بدأت الهوية الطبقية وبشكل تدريجي في الانبعاث حيث لم تأت بتلك السهولة، فالعامل الخارجي دفع من جهته وبطريقته (الوضع العربي بعد الهزيمة) تماماً كما دفع الصراع داخل حركة القوميين العرب في فلسطين (اتحاد شباب الثأر وأبطال العودة وجبهة تحرير فلسطين)، وبمعنى اخر اذا كانت المقتضيات العربية العامة المحيطة قد دفعت الى اتخاذ الطابع التطبيقي والايديولوجي، وأن المخاض الداخلي له الدور الكبير في اخراج الجبهة الشعبية عام 1969م ببرنامج سياسي، الامر الذي سبقه وتبعه مجموعة انشقاقات ترتب عليها خروج مجموعات قومية كالجبهة الشعبية، القيادة العامة بزعامة احمد جبريل، والجبهة الديمقراطية بزعامة نايف حواتمة، التي اكدت انها اكثر ماركسية من جسد الام.

قد تعرضت الجبهة الشعبية الى هزات عنيفة اثر الانهيار المروع على صعيد المنظومة الاشتراكية عموماً والاتحاد السوفيتي خاصة، رغم ما كانت عليه من وضوح في الملامح التي رسمت في مؤتمر الثالث ك1972م، بعد خروجها من الاردن اثر مجازر ايلول، مع ان الهوية الطبقية والأيدولوجية قد أخذت مداها وأبرزت بشكل ملفت للنظر في المؤتمر الرابع عام 1981م، حيث عادت الجبهة لتؤكد اهمية تفاعل كعناوين للفكر القومي والعدالة الاجتماعية لرسم معالم البرنامج النظري ولتفكيك إشكاليات المرحلة السابقة الأمر الذي ظهر واضحا في أعمال ووثائق المؤتمر الخامس للجبهة في شباط عام 1993.

ماهية الجبهة الشعبية:

استناداً إلى البرنامج السياسي للجبهة الشعبية الصادر عن المؤتمر الوطني الخامس يمكننا القول " ان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وهي تصوغ برنامجها، تقدم نفسها باعتبارها حزباً سياسياً مقاتلاً يستهدف تعبئة وقيادة الجماهير الفلسطينية في النضال من اجل العودة وتقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية، عن طريق دحر الكيان الصهيوني وتحرير كامل التراب الفلسطيني، ويكون ذلك باقامة مجتمع اشتراكي ديمقراطي كهدف نهائي لها... وهي تسترشد بالمنهج المادي الجدلي التاريخي وبكل ما هو تقدمي في التراث الفكري والثقافي لشعبنا الفلسطيني وتقاليده النضالية و للامة العربية والانسانية جمعاء.

يظهر بنظرة سريعة إلى إن الجبهة الشعبية قد اختطت لنفسها طريقاً واضحاً فهي اولاً حزب سياسي، وكذلك هي حزب مقاتل تسعى لتعبئة الجماهير بهدف اقامة دولة فلسطينية كما اشار د.جورج حبش.. وهي الاشارة الضمنية لقناعتها بالخط المرحلي الذي رفضته في السابق قبل عام 1979م حيث شكلت قبل هذا التاريخ ما عرف بجبهة الرفض الفلسطينية على انها وبعكس بعض التنظيمات الفلسطينية الاخرى لم تتنازل على الحق العام والمحافظة على الأراضي الفلسطينية في تحرير كل ترابها ، وإخراج الصهاينة من أرضها، بل أنها رسمت الخطوط الأبعد لاستراتيجيتها حيث وضحت طبيعة المجتمع الفلسطيني الذي تستهدف الوصول إليه لجعله المجتمع الإشتراكي الديمقراطي "وفي المقابل فإن هويتها الايديولوجية وعلى رغم ما حافظت عليه بشكل واضح، حيث كانت في السابق ماركسية ــ لينينية ــ سواء كان

الالتزام او الاسترشاد، فانها الآن وبفعل الازمة العامة التي مر بها الفكر الاشتراكي عبر نموذج الدولة الاشتراكية، الممثلة بالاتحاد السوفيتي ودول شرق اوروبا، ادخلت تعديلات واضحة على هذه الفكرة لتتسع وتشمل كل ما هو تقدمي في التراث والفكر والثقافة الفلسطينية المحلية والعربية والاقليمية والإنسانية، على أنها في المحصلة بقيت ملتزمة بالمنهج المادي ولم تنتقل الى منهج اخر كما حصل في بعض الاتجاهات الوطنية الاخرى كتيار ياسر عبد ربه الذي انتقل من مواقع المادية فكراً وممارسة الى موقع الليبرالية الأيديولوجية والسياسية.

رؤية الجبهة الشعبية للصراع:

تعتبر الجبهة الحركة الصهيونية تحمل فكراً رجعياً بالشكل والجوهر، وتخدم المصالح الاحتكارية للدوائر الامبريالية والصهيونية العالمية، تشير الجبهة الى ذلك في العديد من الوثائق خاصة الوثيقة السياسية الصادرة عن المؤتمر الخامس في الفصل الثاني الذي تحدث عن القوى المعادية للثورة الفلسطينية وطبيعة تحالفاتها حيث تشير " لقد كشفت الوقائع المادية الملموسة بأن اقامة دولة صهيونية في فلسطين لم يكن بغرض ايجاد حلول للمسألة اليهودية بقدر ما كان يرمي الى تحويل هذا الكيان الى قاعدة للإمبريالية بهدف ضرب القوى التحررية الوطنية والقومية العربية المناضلة في سبيل الاستقلال والوحدة والمكافحة ضد محاولات فرض الهيمنة والسيطرة الاستعمارية الاوروبية الغربية على المنطقة بديلاً عن الامبراطورية العثمانية المتفسخة والمتهاوية "

فالروابط القائمة بين الحركة الصهيونية والدوائر الامبريالية بتقدير الجبهة هي روابط بنيوية مصلحية تاريخية...فإن محاولات الفصل بين هذا الشكل التحالفي المعادي لحركات التحرير الوطني العربي على اختلافه، والشعوب العربية التواقة للاستقلال والتحرر لا تهدف الا للتضليل (برأيهم) وحرف اتجاهات النضال، على ان الصيغة المعادية الثلاثية التي ترسمها الجبهة في صراعها لنيل الحرية والاستقلال تتمثل بالنضال ضد الصهيونية العالمية المتمثلة والمتجسدة بالصهيونية الموجودة في فلسطين وحليفتها عضو الامبريالية الولايات المتحدة الامريكية، اما المشروع الثالث فهو الرجعية العربية والفلسطينية المتواطئة فعلاً مع الصهيونية.

فالرؤية السياسية هذه تستند الى جانبين اساسين وهما:

1. الجانب الاقتصادي 2. والجانب الايديولوجي.

وعليه فان الجبهة الشعبية قد رسمت لها طريقاً واضحاً في التصدي للمشروع الصهيوني (وإن أخفقت في بعض الجوانب) وذلك عبر " استنادها الى الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني بوصفه الاسلوب الرئيس في النضال، وتخوض كافة اشكال النضال السياسية والاقتصادية التي كفلتها الاعراف والمواثيق الدولية من اجل الظفر بالحقوق الوطنية الثابتة والمشروعة. وانطلاقاً من ايمانها بأن الشعب الفلسطيني جزء لا يتجزأ من الأمة العربية وحركة التحرر الفلسطيني فهي جزء من التحرر الوطني العربي، تناضل الجبهة الى جانب سائر القوى والاحزاب العربية الوطنية التقدمية والعمالية من اجل الحرية والديمقراطية والاشتراكية والوحدة و تحرير فلسطين والأراضي العربية المحتلة ، جزءاً من النضال يستهدف التحرر والتقدم بإيجاد الاشتراكية والديمقراطية والسلم في سبيل عالم بعيد عن كل اشكال السيطرة والظلم والعدوان، في عالم تنتشر فيه المساواة والسلام والتعاون التي ناضلت من اجلها البشرية منذ فجر التاريخ.

شكل الدول والمنطق التحرري:

يبدو إن الجبهة قد غيرت بشكل أو بأخر في إطارها العام منطق التحرير لديها، حيث وان كانت ترفض في السابق المرحلية في النضال الوطني الفلسطيني وخرجت على اثر ذلك من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية قبل قرار موضوع (السلطة الوطنية الفلسطينية) في عام1974م، وذلك جراء فهم بعض من كان في اللجنة التنفيذية لمفهوم المرحلي الذي وضعوه كاستراتيجية تحرير الأرض والانسان.

الأمر الذي ادخل النضال الوطني في نفق من التحليلات والتأويلات التي حرفت النضال الوطني عن مساره الذي وضع له، وبعد اتفاق اوسلو او ما عرف بمشروع غزة وأريحا، يلاحظ حقاً ان عودة الجبهة الشعبية عام 1979م، للجنة التنفيذية للمنظمة لم تكن تعني الموافقة على مبدأ التنازلات التي تبنتها فتح وبعض اطراف اليسار الفلسطيني حيث تبنت موضوعية المرحلية بشكل واضح ومفصل في المؤتمر الوطني الرابع للجبهة عام 1981م، حيث أشارت قائلة: